

بعد بيروت :

تأملات حول 16 سنة .. وحول المستقبل

- I -

انه وضع تقدير للطبعة الجديدة للنصوص التي كتبتها ما بين يونيو 1967 و عام 1971 حول الثورة العربية والكفاح المناهض للهيونية ، لا يمكن ^{ان} ~~ان~~ يشير عدداً من التأملات ، بعد بيروت ، التي طارت ستالينغراد . ^{بمكانة} هياية مشاعر يحس بها كاتب تلك النصوص عندما ~~يجتمع~~ يلقاها من جديد ، بعد مرور 12 سنة وحتى يعيد قراءتها على نمود الدروس المتولدة فينا ، فينا نحن المناظرين 16 سنة ، بعد هذه الأشهر الرهيبة من حصار بيروت ؟

من جهة ، لماذا لا نقول الشعور بأننا كنا في محنة يونيو 67 ، أو قبل 16 سنة ، كنا على حق فيما هو جوهري . والجوهري لم يكن ذك الخيارات ^{المتحيلي} ~~المتحيلي~~ فعلا بين تعالينا دينيين - كما كان يمكن من المناضل من الحركة الوطنية المغربية ومن أهل يهودي أن يتصور هنا في يونيو 67 - ولا ذلك الخيار (1) لكن الشيء الجوهري كان هو الخيار الذي تمزق واهضاً وبدونه مزارع عندما يتغلى المرء بعد أدنى من الصرامة ، الخيار بين حركة ثمر وطني هي حركة الشعب الفلسطيني ، مهما كانت جنسية في يونيو 67 وبين ما يجب اعتباره عملية الشجارية حتى ولو تمكنت هذه العملية من كسب القم الأكبر من هذه الطائفة - التي أنتهي إليها ، أي الطائفة اليهودية المغربية ، ^{القدرة على}

تكن في الخيار نفسه ، ولكن فيا ^{فان} ~~فان~~ فوزه من لم تكن الصعوبة في يونيو 67 تلك المدجبة من التعصبات التي كانت ^{تغمرنا} ~~تغمرنا~~ آنذاك في قلبنا ارتبا لثنا النضالية الممتدة على طول حياة بكاملها . لقد تحدثت عن تلك اللحظة في مقال كتبه منذ سنتين أرفقه بهذه المقدمة ، لأنه سيسوع للقارئ بفهم أفضل لمسار هياشي العميق الذي مكنتني أنه ان بإعلانه هذه الحقيقة المدفونة ، ولماذا ^{يجعلني} ~~يجعلني~~ هذا المسار متضامنا مع الثورة الفلسطينية ، كعربي يهودي ، كما ظل ثوريا عربيا وكشيوحي .

انطلاقاً من خيار كهذا ، كانت البقية مسألة منطقة وصرامة (ولها يقتضيانه في مثل هذه الحالات ، بعض التنازلات) ، ولكنها منطقة وحرارة ~~تحتفظ بها~~ يحافظان على كل شعلةهما الكبة في التناوب مع الواقع العميق ومع الناس وعلى رأسهم الشعب الفلسطيني الشهيد والمكافح ، وأيضا ، بشكل لا ينفصل بالنسبة لي مع هؤلاء الناس ، ليس الناس المنفصولي الروح عن الجسد كما تريدونهم الصهيونية ، ولكن الناس الحقيقيين الذين تقرب دورهم تاريخهم وثقافتهم وحياتهم في تلك الارض العربية التي رغم رغبتهم في هجرات التدمير الاقلامية والاستعمارية والاستعمارية الجديدة ، لازالت تحمل شجرة كدهم الطويل المنزوح بشكل أخوي بكدهم بني قبايلهم ضد المسلمين ، أي المغاربة اليهود وما خلاهم كل اليهود العرب المظلمين اليوم في هذه الدولة الاستعمارية والعنصرية التي ~~الطرح~~ تسمى غصبا بإسرائيل ، والذين تحولوا اكثر من ذلك إلى عظم نار ضد اخوانهم العرب !

أم أكن على حق الفمرة في هاتين النقطتين الحاسمتين ، عندما ~~جيت~~ منذ يونيو 76 حامل الثورة الفلسطينية المجهول ، فتح ، وناسدت " اليهود المغاربة الواعين " ~~الذين~~ يريدوا بإفلاس قادة الطائفة اليهودية المغربية ويلتحقوا بأخوانهم العرب في الكفاح الفعلي ضد الصهيونية وضد الامبريالية ؟

وليسا واليوم ، أبعد بيروت ، فمن يمكنه ان يجعل الثورة الفلسطينية وشروطها التحريرية ، مشروع ~~تحرري~~ أيضا بالنسبة لليهود فلسطينيين ؟ اليوم ، ولا سيما بعد بيروت ، لم يعد بإمكاننا القناع والانساني " للهوية " ان تخفي طبيعتها العنصرية والاجرامية ، وهذه الحقيقة العنصرية تسمى أيضا الجماهير الشعبوية اليهودية العربية المظلمة في إسرائيل ، وإذا كانت هذه الجماهير ~~التي~~ التي تحولها إلى عظم نار ضد اخوانها العرب ، فقد بدأت الصهيونية العنصرية ثقافتها وجذورها التاريخية الحقيقية وليس الاسطورية مع ذلك في استعادة ثقافتها وجذورها التاريخية الحقيقية ، التي طبعت «إن الوقائع الملموسة والحياة اليومية السائدة ، والصداقة العميقة» التي طبعت حياة وتاريخ اليهودية العربية والتي حاول الاستعمار الصهيوني طمسها . هذه الوقائع أخذت طريقها من جديد ، رغم كثرة الشكوك التي من التزوير ومن نصب الحواجز العنصرية (3)

لكنني اذا كنت مع حق في ما هو جوهرية ، وإذا كنت قد لمست المعنى العميق للتاريخ ، فلأنني مع ذلك ، بالغة في تقدير ونسبته . كما نلاحظ عندما ~~يحدث~~ يعني المراد ان ~~يستشف~~ في ظلام الحاضر هذا " الممكن الموضوعي " (4) الموجود في المستقبل ، وهو مستقبل ليس محتموماً (على خلاف ما تذهب اليه شركة حتمية معينة هيمنت ~~على~~ على الحركة العمالية لوقت طويل) بل مستقبل يمكن المناظرة الشورية ويجب عليه انه يعمل لأخراجه إلى الوجود . الخطر إذن هو التقليل من شأنه

الصعوبات المتعددة والمواجز المختلفة سواء تلك التي يقبها العدو أو تلك المنعسة في قرون من الاضطهاد - التي تعارض ظهور المستقبل ، الخطر يكمن في عدم التقدير الصحيح للجهود العظيمة الطويل ، الصبور والدؤوب الذي يجب بذله من اجل التقدم نحو هذا المستقبل .

من هنا تأتي جدلية الفشل والتفائل الثوري (د) . فليس هناك طريق ثوري خال من الانتكاسات . والانتشار لا يأتي من طريق مستقيم وبلا عوائق ، بل من معرفة تحديد الصعوبات الموضوعية ونقط الضعف الذاتية . ما كبر ما يمكن من الوضوح ، وفي كل خطوة من الخطوات ، معرفة عدم السقوط في التهاون الكماش خلال المراحل الطاعمة من الكد الثوري لدرجة ^{تضييق} ذلك الوضوح ، ومن هنا معرفة حصر الانتكاسات ونتائجها ، واثراً معرفة استخلاص الدروس من هذه الانتكاسات بما كفا في ^{على} الجذور العميقة للتفائل الثوري في احلك فقرات الانتكاس ، وهو اجلة السير ^{للثورة} الامام على ضوء تلك الجذور وسما تزيده الانتقادات الذاتية الضرورية من قعدة .

هكذا كانت بيروت في آنة واحد الدليل الساطع على قوة الثورة الفلسطينية التي لا تنفهر ، والفتوة القوي المسلط على فشل وخبز القوم الثورية العربية (غير اللبنانية والفلسطينية)

على ضوء هذا ، يمكن للقارئ ان يلاحظ ^{بالقوة} أنني في الفترة ما بين 1969 و 1971 و بشكل أخص في الجزء الاخير من نص فبراير 1971 حول " اليهودية المغربية في اسرائيل " حيث طرحت " جدلية الثورة العربية " ، كنت مبالغاً في تفسير امكانيات هذه الثورة على المدى القصير ، بما في ذلك ^{امكانيات الثورة المغربية ، وأقول} على المدى القصير (بمعنى التاريخ) لأنه الواقع العميق لتلك الثورة لا زال قائماً .

المكتنسة من 12 سنة سواء من النضال الثوري هنا في كل هذه التجربة ^{من} هذه التجربة المغربية أو من الواقع الحالي لميزانه القوى مقابل العدو الصهيوني - الامبريالي ، ما هو وضع القوى الكاملة للمستقبل والتي تستطيع تحطيم هذا الواقع وفتح الطريق لتحرير فلسطين ؟

- II -

الشعب الفلسطيني

هذه القدس هي أول الشعب الفلسطيني المنظر كشعب مقاتل حول مشهد الشرمي والوحيد ، منظمة التحرير الفلسطينية . لقد كانت ^{مهمولة عام 1967} ، وقد

ذكرتها مع ذلك، صحيحاً فيما بغور المستقبل، بالضبط لأنها لم تكن تؤمن للحماقة
العنصرية، أي للرد الدينية التي كانه العام العربي يعتقد آنذاك انه يستطيع مواجهة
الصهيونية بها. هذه المجموعة المجهولة آنذاك كانت مع بعض المجموعات الاخرى
مثل «ابطال العودة» هي التي اشعلت الشرارة الاولى للثورة الفلسطينية. ومن يستطيع
اليوم ان يتجاهل هذه الثورة، ما عدا أمثال بيغن وريغان؟

لكن ما هو وضع الثورة الفلسطينية بعد 60 عاماً، نخداة جهاز بيروت ودروسه
المجيدة والرهيبة في آنه واحد؟

لقد أثبتت هذه الدروس انه الجماهير الشعبية العربية مشلوله باستثناء
الشعب الفلسطيني وقسم هام من الجماهير اللبنانية. وتحليل أسباب هذا الشلل
الذي سارجع اليه، يؤكد في رأيي انه الطريق لا زال طويلاً للتغلب
عليها.

لا يستطيع أحد أن يتنبأ بحدثها ولكنها تتطلب
هذه المرحلة الطويلة التي تفضلنا عن اللحظة التي
في تقديري سنوات كثيرة. فماذا على الثورة الفلسطينية انه تفعل في هذه
المرحلة الطويلة التي تفضلنا عن اللحظة التي
في الوطن العربي من المشرق كما في المغرب،
العدو المائل اليوم لصالح الامبريالية واليهودية؟

لقد أجابت الدورة السادسة عشرة للجلس الوطني الفلسطيني المنعقدة بالجزائر في شهر
فبراير 1983 عن هذا السؤال العصيب بالاستسلام والانحطاط وكان جوابها هو:
«الدمج بين أشكال الكفاح الثلاثة: (1) الكفاح المسلح لعدو الثورة الفلسطينية المقاد
تنظيمها في جيش تحريري وطني واحد؛ (2) المقاومة المتعددة الأشكال التي تخوضها الجماهير
الفلسطينية في الاراضي المحتلة؛ (3) النضال السياسي الرامي إلى نسف الأسس السياسية
الذي يحاول العدو قوضها؛ (4) النضال السياسي الرامي إلى نسف الأسس السياسية
للعدو سواء داخل السكان اليهود في فلسطين أو في البلدان الغربية».

وفلانا للتأويل المغرض الذي تحاول الرجعية العربية تقديمه لخطط فاس،
فان هذا الأخير كقاعدة العمل السياسي وليس الدبلوماسية الصرف، لا يتفصل عن
النشاط العسكري لعدو الثورة الفلسطينية. ومن مجموع مقاومة الجماهير الفلسطينية
وهنا يمكن كذا الفرق بين التصور الرجعي والتصور النضالي. فالنصير الرجعي ينسب

على الديبلوماسية وحدها ، وهو يروم في الواقع بحر الثورة الفلسطينية الى الاستسلام
عن طريق قبول مخطط ريفان و " الاعتراف بدولة اسرائيل " ، أي عن طريق تخلي الشعب
الفلسطيني عن وجوده ذاته ، هذا الوجود الذي لا ينفصل عن أرضه ، كامل أرضه ،
وعن طريق إضفاء المشروعية على العدوان الصهيوني الاستعماري والعنصري . أما التصور
النضالي ، فيقوم على الكفاح من أجل تغيير ميزان القوى وفرض تحقيق البرنامج
الادنى للثورة الفلسطينية ، وخاصة مخطط فاس كمرحلة تفتح الطريق للهدف
الاستراتيجي المتمثل في إقامة الدولة الديمقراطية الفلسطينية ، والتحرير النهائي
لكل تراث فلسطين وكل سكانه ، بما فيهم اليهود ، من قبضة العنصرية الصهيونية
والسيطرة الاستعمارية الامبريالية .

وبالفعل ، فإن هذا الاهتمام الأخير كان قد اكتسب أهمية خاصة بالنسبة
للثورة الفلسطينية ، منذ انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني في شهر شباط
1969 ، حيث صودق على هدف إقامة الدولة الديمقراطية الفلسطينية . وبذلك عبرت
الثورة عن كامل ثقافة الشعب الفلسطيني العميقة والمتجذرة في قرون طويلة من
تاريخ " هذه الأرض المقدسة ، أرض الكتب السماوية و الانبياء " (حسب تعبير ياسر عرفات)
لكن الدمج بين العمل العسكري والعمل السياسي الذي يقضيه تحقيق هذا الهدف لم يتمكن
من بلوغ فعالية كافية ، نظرا للأسباب التالية :

- الرسمي بضرورة هذا الدمج لم يصل الى مستوى كاف من الانسجام داخل مجموع
تنظيمات الثورة الفلسطينية ، ولا داخل التنظيم الواحد أيضا ، " ففتحت
عن ذلك بعض الاحمال العسكرية التي كانت في الواقع متناقضة مع العمل السياسي ،
بخاصة في نهاية الستينات وبداية السبعينات " .

- من ناحية أخرى ، كان النفوذ السياسي لبعض الأنظمة المسماة بالبورجوازية العنصرية
العربية داخل الثورة الفلسطينية ، أحيانا عبر بعض تنظيماتها ، كان هذا
النفوذ كبيرا لحد إعاقته الانسجام الفردي ما بين النشاط العسكري والنشاط
السياسي . فهذه الأنظمة تنزع إلى التغطية عن مواطن ضعفها الداخلية بالديماغوجية
المغامرة ، ان لم تكن العنصرية ، حول القضية الفلسطينية ، لاسيما وأن الأنظمة
الرجعية تسعى من جهتها الى بحر الثورة الفلسطينية الى التخلي عن النشاط
العسكري والتفرغ للعمل الديبلوماسي " . هذا بالإضافة الى نقطة " سجد
بالتوريتين العرب تحقيقها ، ولأن نوعيته القومية العربية التي تحملها مثل

هذه الأنظمة - لا تنفصل في العمق عن إرادة طبقاتها السائدة في التوسع والهيمنة الإمبريالية .

- وأخيرا ، فإن مصداقية الدولة الديمقراطية الفلسطينية ليست واضحة عند الجماهير اليهودية بفسطين ، لأسباب سأعود إليها وسأمكن تلخيصها بهذا الشكل : إن القسم الأكبر من اليهود الأوروبيين الأهل تطبعهم الأدبولوجية الغربية (التي ليست الصهيونية - إلا انعكاسا شديدا لها) القائمة على احتقار الشعب غير الأوروبي ، وخاصة الشعب العربي . وهذه العنصرية تتقوى بالمطامح الاستعمارية الموضوعية . وحتى اليهود الذين تمكنوا من التغلب على هذه العوائق الاستيطانية في غالب الأحوال ^{التقليدية} ~~التي كانت~~ عن الكلم الذي سمع لهم بأنه ~~تخافوا~~ ^{تخافوا} إسرائيل على هويتهم وثقافتهم الخاصة التي كادت النازية أن تعدمها . أما الجماهير اليهودية الإسرائيلية القادمة من البلدان العربية ، فترجم أنها لا تسالهم في الاستقلال الاستعماري ، فإنها تظل مطبوكة بالحذر الناتج عن الدعاية العنصرية السابقة التي مايتها الأنظمة الرجعية أو البورجوازية العربية وريثة الاستعمار ، أو الأنظمة الأقطابية ما قبل الاستعمارية (7) ، وهو حذر لا يمكن إلا أن يعزز بفعل الحكامة الحالية لهذه الأنظمة . ومن هنا ، فإن مصداقية الدولة الديمقراطية الفلسطينية عند الجماهير اليهودية ، والقوى التقدمية الإسرائيلية ، لا يمكنها أن تنفج بالنشاط الأدبولوجي وده ، ولا حتى بجزء القديري . بغاض الصداقة والتكامل مع الجماهير النجبية المسلمة في البلدان العربية ، فإن هذه المصداقية يجب أن تقوم مستقلا على التربة المحموسة ، ومن هنا ضرورة المرور بمرحلة انتقالية ، ولكنها مرحلة ~~الانتقال~~ ^{انتقالية} الطريق على هذا الهدف الاستراتيجي ، قبل تندرج ضمنه .

مع أنه قد يكون ضروريا .

وبالضبط فإننا نرى اليوم أن هذه العقائل التي تعترض الاندماج الفعال ما بين العمل العسكري والعمل السياسي للشركة الفلسطينية قد ^{تضاءلت} ~~تضاءلت~~ ^{بدرجة كبيرة} ~~بدرجة كبيرة~~ . وهذا في رأيي تقدم كبير كبير للثورة الفلسطينية . ولكن سنوات طويلة وصعبة من النضال ^{واقعية} واستطاعت تجديده كتنحية كثيرة للمقاومة البطولية التي قام بها المقاومون الفلسطينيون وقيادتهم السياسية - العسكرية . م . ت . ف . ، فلا طلاق بيروني .

إن الواقع الذي نعيشه هذا الحصار رغم موكب الدماء والرعب الذي جملة معه ، قد جعل ضرورة اندماج العمل العسكري والعمل السياسي ^{في} عند الأغلبية الواسعة من المقاومة ، والمجلس الوطني الفلسطيني السادس عشر كان المثال الساطع على ذلك ،

أكد وعزز استقلالية الثورة الفلسطينية ، سواء إزاء الإجماع الاستسلامي للأنظمة العربية ، أو إزاء اللغز العاجز للأنظمة " البورجوازية العربية " .

- سمح بلورة أرضية عمل عسكري وسياسي صديج ، انطلاقاً مما يمكنه ضرب القواعد السياسية ومن ثم العسكرية للعدو الصهيوني ، بشكل منسجور للمرة الأولى ، كما يمكن تحقيق الربط مع القوى التقدمية التي تناهت داخل معسكر العدو كما يمكن تحقيق الربط مع القوى التقدمية التي تناهت داخل معسكر العدو

لا بد لي هنا من تفسير هذه النقطة الأخيرة : إن جميع الثوريين العرب تقريباً (ماعداً طبعاً تلك النواة الثورية الفلسطينية الأولى التي لم تكن معروفة جداً) ، ورجح أنهم كاتب هذه السطور ، كانوا يظنون عام 1967 أن تحرير فلسطين سيكون ثمرة انتصار عسكري تحققه الجيوش العربية على العدو الصهيوني . « فإذا كان يونيو 67 قد بين بعد

من أنه من أجل تحقيق ذلك لابد من قيام تحولات ثورية في العالم العربي توصل البروليتاريا إلى السلطة - في عدد من الدول ، فإن الطريقة التي كان يسيطر على العقول هو فعلاً مثل هذا الانتصار العسكري » . وفي هذا الإطار ، حتى العمل السياسي من أجل الديمقراطية الفلسطينية كان يظهر أنه لا يستلزم نصيباً ثانوياً في العمل العسكري

وكان هدفه الرئيسي هو التضييق للتسوية السياسية التي قد تتبع هذا الانتصار . ولم تحمل حرب أكتوبر 1973 إلا على تأكيد هذا التصور باعتبار أن الفصل العسكري تلك الحرب قد أبرز بصورة أكبر ضرورة التحولات الثورية على رأس دولة عربية مثل مصر حتى تتمكن

من قيادة سياسية وعسكرية حازمة ، مع إمكانية - وهمية - هذه الأخيرة للوصول إلى مثل هذا التحول في ظرف قصير نسبياً .

لكن الشلل الذي أصاب بعد ذلك القسم الأكبر من جسم الأمة العربية لم يعد بإمكان اعتباره مرضاً عابراً أو سطحياً ، عندما ننظر إليه على ضوء تمثيل الفوسفور الملقاة على سيرت الغربية ، ضوء الرعب والموت الذي امتد طوال 78 يوماً دون أن تلز الأمة العربية ولا راحة واحدة . سأعود إلى هذا الموضوع فيما بعد ، لكن لنقل من الآن

أنه إذا كانت الطبقات السائدة التي زحمت حتى الآن أنها حاملة لواء الأمة العربية قد أفلتت تماماً ، فإن البروليتاريا العربية من جهتها ليست نافذة لتقديم البديل . ولازال كل شيء تقريباً بحاجة إلى المراجعة من أجل الوصول إلى هذا الهدف .

انطلاقاً من هذا الواقع ، يتبين أن ميزان القوى الذي هو اليوم لصالح العدو بشكل كبير ، لا يمكن تغييره لصالح الثورة الفلسطينية نسبياً إلا بقدر ما نتج هذه الأخيرة

على إفتثال العدو فيما هو جوهرياً ، مثلما فعلت في بيروت ، أي بإجباط مشروعه
الرامي إلى تحطيم الشعب الفلسطيني ككتلة (وهو مشروع يجمع بين أساليب التنصتية
الجسدية و مخابراتية تدمير التنظيم الوطني الفلسطيني أي منتهف ، وأيضاً محاولات
التشريد الجسدي والثقافي معاً) ، واذن العدو الاسرائيلي الذي يواجه الشعب الفلسطيني بشورته
التي تنظمها وتقومها من أي اجباط هذه المظاهرة الشعبية و في الموقف
مقاتلاً عسكرياً وسياسياً وثقافياً في وجه ضربات العدو مهما كانت رهيبية (وهذا
يؤكد بالخصوص الأهمية الكبرى لعدم الخضوع لضغوطات الامم المتحدة والرجعة
العربية حول مسألة الاعتراف)

في هذه الشروط ، التي تقتضي حداً أدنى من الدعم السياسي والديبلوماسي وحتى
العسكري من جانب عدد من البلدان العربية (التي والذو لا زال ممكناً ، وسأفسر لماذا) ،
في هذه الشروط التي يتكرر فيها الغول الصهيوني مع صخرة مقاومة الشعب
الفلسطيني الكهيبية ، تبرز التساؤلات الداخلية في قاعدة العدو
السياسية بشكل أكبر ، والتصدع الذي بدأ يخترقها يمكن أن يتحول
إلى كسر (8) ، بالاضافة لانه الشعب الفلسطيني عندما يقاوم العدو ، فإنه يطرح
في نفس الوقت بديل سلام يحظى بثقة الجماهير الاسرائيلية التي تشكل قلب
تلك القاعدة السياسية ، مثلما يشكل الرأي الغربي مرتكزها .

تلك القاعدة السياسية ، مثلما يشكل الرأي الغربي مرتكزها .
آنذاك استظهر على الكفاية العميقة لهذه القاعدة السياسية والتناقضات التي
تتمها ، وذلك بعدة تنوعت إلى درجة كبيرة ما عرفناه خلال صيف 1982 .

لكن قبل التطرق إلى هذه التناقضات الداخلية في صفوف الصهيونية ، علينا أن
نقف عند العنصر الآخر الحديث و لكن المتزايد الأهمية كما في اجباط الممارس الصهيونية
في السيطرة على المنطقة ، أي المقاومة اللبنانية .

III

المقاومة اللبنانية

هذا بلد وهذا شعب تدفعه القوى الطائفية الأكثر رجعية نحو الهادية منذ شمانية
أعوام . والحقيقة أن هذا الشعب هو

هذا البلد في اليوم تحت الاحتلال الصهيوني ، ويخضع كدولة للهيمنة الخارجية
سنة 2

هذا طرف الامبريالية الامريكية والتوسع الاسرائيلي . بلد وشعب لا يبدل لهما عن
هذه الهاوية ظاهريا ولا في وهاية بورجوازية الدولة السورية . وهذه الواحية ، بالمضونه
الشومبيني لغوميتها ، لا تستطيع ولم تستطع ولا لتحقيق التمزق الداخلي في
لبنان . هذا البطل وهذا الشعب رازنه ، بوقوفهما في معركة المقاومة المسلحة ضد
الممثل الصهيوني ضد الكماج الامريكية ، يدسحان الطريق المستقل للتحرير والنهوض
الوطني والحفاظ على هويتها الوطنية والعربية .

قد

انه المقاومة اللبنانية المسلحة ضد احتلال الجيش الصهيوني لجنوب لبنان / أجهت
اليوم حقيقة كبرى في الواقع السياسي اللبناني ، فلا يعد يوم واحد دون انه تقوم
كلمة عسكرية يؤكد الممثل خسارت هامة أحيانا ، الى حد انه اتفاقية الهاوية
المنزوية الموقعة يوم 17 ماي 1983 بايدي الحكومة الاسرائيلية وحكومة أمين الجميل ،
تحت وعاية الامبريالية الامريكية ، كان هدفها الرئيسي هو تشكيل
قوات اللتائب الفاشية ومرزقة سعد الكداد المتحولة الى "جيش لبناني" من مواصلة
ماتام به الجيش الصهيوني .

سجاد
لكن التناقض الذي يتجلى في دبلوماسية الرجعية العربية ، علاجه بلسا عيسلم
الحميدة ، هو انه الامبريالية الامريكية والقادة الهاوية ، توحد لهم ^{واحدة} واحدة في
الهيمنة على كامل المنطقة بلا منازح . لا يمكنهم ان يسهوا ^{لادولة عربية} لدولة عربية هي
سوريا بأنه مدافع عن كرامتها واستقلالها ، خاصة اذا كانت وتتعهد في ذلك
على مساعدة الاتحاد السوفياتي العسكرية ، والاداة الهيمنة المطلقة هذه ، قد تقودهم
الى استعراض جديد للقوة في لبنان ، بالرغم من الصعوبات ، وأيضاً بسبب هذه الصعوبات
التي يواجهها القادة الهاوية في الحفاظ على معنويات جنودهم ومعنويات الراس
الاسرائيلي أمام مجليات المقاومة اللبنانية .

ومهما كان مخرج هذا التناقض على المدى القصير ، وهو مخرج لا يمكنه إلا
ان يخلق تناقضات اخرى أعمق ، فإنه النوع الصهيوني ^{بمجرد نفسه} مباشرة أو غير
الفلسطينيين اللبنانيين ، أمام خصم جديد وغير منتظر ، ختم كنيده لأنه متجدد
في آفاق الشعب اللبناني . لأنه المقاومة اللبنانية المسلحة ، التي يلعب فيها
الشيوعيون اللبنانيون دوراً هاماً ، تتقوى اليوم بعيداً عن العصبية الطائفية
التي لم تكن الحركة الوطنية اللبنانية ، قد تجاوزتها في السابق ، صحيح انه هذه العصبية
لا زالت قائمة وستستمر لمدة طويلة في لبنان ، لكن تجاوزها أصبح منذ الآن
تباراً لاربعة فيه .

وبهذا فإن المقاومة اللبنانية ، لانها لبنانية ولائها مقاومة حقيقية ، تتحيز اليوم
 على أرض الواقع - كما سجل ذلك جورج حاوي ، الامين العام للحزب الشيوعي اللبناني ،
 بعد حصار بيروت (9) - ^{وذلك لانها} القوة الوحيدة في العالم العربي ، مع المقاومة
 الفلسطينية ، التي ترفع عالياً راية العروبة ، وتجاوزاً ^{للتجزؤات} للفرقتين الشوفينية
 الاستلامية الرجعية و ^{التي} اللفظية الهيمنية البورجوازية العنصرية ، تبقى القومية
 العربية الحقيقية والملموسة ، تجارزاً ^{للتجزؤات} للفرقتين الشوفينية
 المحلية ، وفي نفس الوقت ، تأكيداً ^{للتأكيدها} للهوية الوطنية
 للجماهير الشعبية في انغراسها في أرضها وثقافتها المرتبطة بهذه الأرض
 والمتجاوزة لها في إطار العروب ، انه الجماهير اللبنانية ، ^{كما يؤكد} بلقائها
 ونضجياتها ، تعلقها ، بأرضها وثقافتها ، مع كل ما تحمل
 ذلك من مكتسبات عريقة ورجعت استعادتها كمتجمع عربي متعدد الطوائف ووجي
 هذا الكفاح من أجل الاستقلال الوطني ومن أجل التحرر من كل انواع الاضطهاد ، تؤكد
 الجماهير اللبنانية صويتها اللبنانية و العربية ، وليس الواحدة دونة الاخرى .

لذلك ، فعندما آثرت بل قليل إلى اقدم التناقضات الداخلية في أساس
 الصهيونية السياسي ، بفعل مقاومة الشعب الفلسطيني المبدية ، ^{كأنه لا بد} أيضاً من اعتبار
 مقاومة الشعب اللبناني كعامل من عوامل اقدم هذه التناقضات ، وهو عامل قد
 أثمرت في السنوات القادمة .

تزايد

انه الامبريالية الامريكية والتوسع الصهيوني يعواجهانه اليوم بشكل مباشر مع كفاحين
 مستميتين من أجل التحرر الوطني في الشرق الاوسط : كفاح الشعب الفلسطيني من أجل
 التحرر الوطني ، وكفاح الشعب اللبناني من أجل التحرر الوطني أيضاً ، وبما أن الامبريالية
 واليهودية ^{تستهدفان} أي مواجهة هذين الكفاحين بشي ، آخر تحير المزيد من العمليات العسكرية
 والقمع الفاشي والعنصري ، فإننا نؤيد القواعد السياسية التي تقوم على التي تسمى
 مباشرة ، وعلى رأسها أهم قواعد لها السياسية في الشرق الاوسط نفسه : اليهود
 الاسرائيليون .

وهذا ما يجب علينا لانه التطرق إليه ، مع تدقيقات أكثر ، لان الأمر يتعلق هنا
 بمسألة غالباً ما يكون فيها التحليل ناقصاً أو مشوهاً .

داخل - المواقف عدة السياسية للليبيونية

التناقضات
الملاحظات التالية هي خلاصة مركزة جداً لتأليل تمت بها خلال سنة 1988

انه كفاح الشعب الفلسطيني من أجل التحرر الوطني لا يخرج عن القانون العام الذي يحكم حركة تحرر الشعوب المضطهدة في هذا الثلث الأخير من القرن العشرين: فأمام تصاعد هذه الحركة التي تحظى بتعزيز متزايد من طرف قوى الاشتراكية في العالم ، أصبح النظام الرأسمالي العالمي أقل فأقل قدرة على التحكم في تناقضاته الداخلية ، وصار من الصعب عليه جدا ، حرر شعوب البلدانه الرأسمالية إلى فوضف مفاخرت عسكريته استعجاباً ،

والكيان الصهيوني ، رأس جسر النظام الرأسمالي العالمي في قلب الشرق الأوسط ، لايفلت من هذا القانون العام ، على الرغم من أن هذا القانون لا يظهر إلا بصورة مجزأة ، نظراً لخصوصيات التي تتميز ذلك الكيان .

صائبشياء الفلسطينيين الذين ^{فرض عليهم} أنه يكونوا "مواطنين" إسرائيليين ، ولكن من الدرجة الثالثة (وهم يستقضي موازية الميز العنصري ، مبعدون عن كل مشاركة - في الجيش ، ماعدا الأقلية الدرزية الصغيرة ، وهذه تهمه أساليب العنصرية الصهيونية) ، يمكن تفسير الكيان الذي يتكون الكيان الصهيوني إلى فئتين رئيسيتين ^{رئيسيتين} نجد لهما حتى في الإحصائيات الرسمية :

- اليهود الاورو - أمريكيون ، و يطلق عليهم اسم « أشكيناز »
- اليهود العرب الذين يدعون - "السيغاراد" أو "الشرقيين" ، ونطاق إليهم مجموعات قليلة من اليهود المنحدرين من بلدان أخرى في أفريقيا وآسيا (مع العلم أنه اليهود القادمين من أفريقيا الجنوبية البيضاء يصنفون من الناحية الفعلية ضمن الفئة الأولى)

القائمة الفطرية من
انه اليهود العرب الذين هم في الواقع مواطنون من الدرجة الثانية في دولة إسرائيل ، بسبب الاضطهاد الثقافي والاجتماعي - الاقتصادي الذي يعانون منه كجموعه الدولة ، ولكنهم يستعملونه كطب نار في الكروب ، وسواء أعود الى هذه النقطة فيما بعد ،

٤ اليهود الأورو-أمريكيون

إنه اليهود الأورو-أمريكيين، مواطني هذه الدولة، يعيشونه مباشرة التناقضات التي تعرفها
شعب البلدانه الرأسمالية المهيمنة. وهم ليسوا في الواقع لإنتاجا لتلك البلدانه،
ولكنه نتاج ^{تنعكس} فيه التناقضات المذكورة في مرآة وخصيصا الاستهلاكية والادوية
الصهيونية السائدة.

ومن المعروف أن هذه الادوية الصهيونية قد نشأت في نهاية القرن 19 داخل الطوائف
اليهودية بأوروبا الشرقية (بولونيا واوركراينا بوجه خاص) التي تشكلت طوال القرون
الماضية في ظل اقطاعية تلك المنطقة. وقد وصف ابراهام
ليون تلك الطوائف بأنها شعبه/طبقة، انطلاقا من إحدى أفكار كلود ماركس (غير أنني أفضل
تسميتها «طائفة/عصبة» (10).

لقد بين ابراهام ليدنه في تحليله العام لأهم سمات هذه الطوائف والمعادن الموضوعية
لمعاداة اليهودية التي تكونت عند المجموعات القروية بالمنطقة، وكيف دخلت
هذه البنية في أزمة مع تطور الرأسمالية. والطبيعة الخاصة لهذه الطائفة/العصبة - التي
لا يمكن مقارنتها والملاقاة مع اليهودية العربية، ولا مع يهودية أوروبا الغربية أو الوسطى -
قد كانت هي سبب قيام الادوية الصهيونية في ظروف الازمة تلك، وهي المحيط الادوية
التي صاحب التوسع الاستعماري الاوروبي.

لكن الادوية الصهيونية لم تتغرز ولم تتطور إلا بفضل دعم كبار الرأسماليين
اليهود في ابلدانه الامبريالية بأوروبا الغربية، الذين كانوا كقرف شارك في الفوز
الامبريالي للشرق الاوسط، سرون في الصهيونية امكانية للحصول على مكانة خاصة في تلك
المنطقة، وذلك بتوفير رصود بشري ضخمة كذا القنانات بفعل المنطقة الداخلي العنصري
والمعادي للعرب لهذه الادوية. وقد نفاقت الامبريالية البريطانية، لطبيعة الامبريالية
العالمية في مطلع هذا القرن، الناشئة التي يمكن ان تجنيها من الصهيونية، فلوست
تألفها معها من خلال اعلان بلندق الشهير. وقها هو معروف، فإنه الامبريالية الامريكية
جلت عمل البريطانية، ابتداء من الحرب العالمية الثانية، بوصفها وصيا رئيسيا
وحليفاً عضوا مع للصهيونية.

قلت

على أن الايديولوجية الصهيونية - والممارسة الداخلية للصهيونية
 بالاطلعات الطبوعية لهذه الطوائف اليهودية - البورجوازية الصغيرة في أوروبا الشرقية التي
 نشأت داخلها. وتندرج هذه التطلعات في خط الايديولوجيات البورجوازية والبورجوازية
 الصغيرة التي عرفت في أوروبا خلال القرنين 18 و 19، أي ايديولوجيات "الأقوياء" والاشتراكية
 الطبوعية. فنجدت تأثير تطور الرأسمالية، أدت التيارات الناشئة من فلسفة "الانوار" التي
 المتطرفة من النزعة الفردية، وأدت التيارات الناشئة عن الاشتراكية الطبوعية
 الدفاع عن "الاشتراكية - الاستعمارية" التي اتخذتها الاصبية الثانية، وقد كانت هذه
 إلى الحوافز "الاشتراكية - الاستعمارية" التي اتخذتها الاصبية الثانية، وقد كانت هذه
 التيارات تدعو إلى الديمقراطية (في حدودها البورجوازية) وإلى تحقيق المساواة، ولكن
 بالنسبة للشعب الاوروبي فقط. وهكذا، فإن المهاجرين الاوروبيين عندما وصلوا إلى أمريكا
 الشمالية، لم يبقوا بجماعة، ولا أنفسهم، والمثل العليا الديمقراطية السائدة في القرن 18، ولكن عن
 طريق تصفية هوند أمريكا. وعندما وصل المهاجرون الاوروبيين إلى فلسطين، بعد مرور
 ذلك، فإنهم طبقوا جماعة، ولا أنفسهم، والمثل العليا الديمقراطية السائدة في القرن 18، ولكن
 عن طريق المذابح والتمييز العنصري في حق الشعب الفلسطيني.

ولكننا نعيش في النصف الثاني من القرن العشرين، فالأشياء التي نجحت في أمريكا
 الشمالية خلال القرن 19 لم يعد بإمكانها ان تنجح في فلسطين اليوم. وأمام استحالة
 هذا النجاح، وإزاء تزايد العنصرية الصهيونية ونزعاتها الفاشية المرافقة لها، والناجمة
 عن تلك الاستحالة، بدأ الرغبات أيضاً في الإيديولوجيات الاستعمارية والعنصرية الاوروبية
 التي تظهر اليوم في الغرب، ولو بطريقة مختلفة، وأكثر صهوبة، داخل صفوف اليهود
 الاسرائيليين أنفسهم.

ويحدث هذا في مرحلة لم تعد فيها التطلعات الاشتراكية الطبوعية البورجوازية الصغيرة
 وتناجحها الداخلية إلا جلوداً يابسة (44). وهذه التطلعات هي التي كانت أساس
 الكيوتنزات الاسرائيلية، والازدحام الثقافي اللذانه سألها بشكل وافر
 ليس في كسب يهود أوروبا الغربية والولايات المتحدة الباشيين من جرادات التصفيات
 الهتلرية، ولكن أيضاً القسم الاعظم من الرأي الغربي (وحتى من أوروبا الشرقية، في بعض
 فترة تاريخية خاصة للاسف).

وبالفعل، فإن الصهيونية تعبر عن حقيقتها الحقيقية، أنه دولة اسرائيل،
 اشغري غمره الغرب الرأسمالي، تعرف هي أيضاً انحطاط عهد عيش المهنيمات
 الرأسمالية المعاصرة، وهذا انحطاط تزيده وضعيتها الاستعمارية حدة، خاصة وأنها
 وضعت كيان استعماري مفروض في جسم الأمة العربية وغريب عنه. ومن هنا فإن لهذا

الكيان الاصطناعي الذي تخضعه الامبريالية الامريكية ، يتعدى أساسا على الوظيفة التي تؤديها كقلعة عسكرية متقدمة للامبريالية في الشرق الاوسط ، وظيفتها تتشعب حولها اكثر فاكثرت توجهاتها في البحث العلمي والتقني ، صناعتها ، اجهزتها الاديولوجية وخاصة الدينية منها . كما أنه يقوم من جهة اخرى على قتل مخبر مضاربات البورصة ، عندما نعرف كيف يتراقت صعود العملة للكرت مع الطويلة البنكية (60 / سن) اليهود الاسرائيليين يتعاطون للمضاربات المالية ، حسب صيغة "وي ايكونوميست" !

في كل هذا ، ماذا كان مصر بؤر " الاشرالية الصهيونية " او الكيبوتزات ؟ هذا ما كتبه الاساذ كينيث براون ، بعد تحقيق قام به في اسرائيل سنة 1981 :

« انه اعضاء الكيبوتزات في اسرائيل اليوم ينسلكون نخبة سياسية واقتصادية . فصناعاتهم المزدهرة تحصل لان أهم مصدر لمداخيلهم وشراوتهم ، ^{وتوفر لهم} مستوي من العيش أعلى من مستوي عيش أغلبية الاسرائيليين الاخرين . واليوم هناك 3,3 / فقط من سكان البلاد - أي حوالي 120 ألف شخص - يعيشون في 200 من الكيبوتزات . ورغم ان ربعهم يتعاطى للزراعة ، فانهم ينتجون 40 / من الانتاج الفلاحي ، ويوجدون في الطبيعة بالنسبة لتصدير القطن وثمار الحمضيات . أما في الصناعة ، فهم من كبار المنتجين المتخصصين في التصدير والاعمال الدولية ، بمبالغ مالية هائلة » (ومنا يعلو كينيث براون مثال المركب الصناعي و"نمراند" الذي يسلكه اربعون كيبوتزاً ويشغل

ألفاً من العمال والمستخدمين ، ينتمي منهم 200 فقط الى الكيبوتزات . ويرجع هذا المركب مليونه دولار يومياً في الاعمال على المستوى الدولي والمحلي ، بما في ذلك البورصة) ويضيف براون : « انه الكيبوتزات اليوم هي ، على العموم ، مجموعات غنية ومعزولة عن بقية البلاد . لكنها مفتوحة على المجتمع بعبء روابط جاسمة ، فهي تقدم عدداً كبيراً من الجنود وضباط الجيش والطيارين في القوات المسلحة ، بشكل يفوق نسبتهم منه هجوع السكان . كما ان كثيراً من رجال السياسة الكبار في كتلة هاراخ (العالية) يتخذون من الكيبوتزات ، وصناعاتهم تقدم على العمل الحاد و غير المتوكل » (12)

انه صورة الرواد الاوروربيين " الذين يحبونه الكرماء " . هذه الصورة التي شراها في أفلام رعاة البقر قد حلت محلها اليوم ، كما نعرف ، حقيقة الكيان الاستعماري الذي يستغل ارض فلسطين بفضل اليد العاملة الفلسطينية وبفضل هؤلاء العمال المهاجرين المستورد من بكثرة ، أي اليهود العرب . واكثر من ذلك فانه تطور هذا الكيان الاستعماري منهم أقل فأقل اتجاها بالاستثمار الجماهيري للأرض ، فلم « الاشراكيب الصهيونية » الاقول على طريقة بير - باراكوف . بل ان هذا الكيان هو اول وقبل